السؤال في التراث الإسلامي والبلاغة العربية

الباحث / بدر بن طاهر الطرقي العنزي

المحاضر في جامعة الحدود الشمالية

تخصص البلاغة والنقد

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع ثقافة السؤال في التراث الإسلامية والبلاغة العربية؛ لبيان أهمية السؤال، ومكانته الرفيعة في المعرفة الإسلامية عمومًا، وفي البلاغة العربية خصوصًا. وتوسلت الدراسة بالمنهج الاستدلالي، القائم على طرح الأدلة وبيانِ الحجج التي تسهم في الإقناع والإمتاع والتوجيه والتأثير.وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن للسؤال مكانة عظيمة في التراث الإسلامي يمتاز بخصائص استدلالية ومعرفية، استعمل القرآن الكريم السؤال منهجًا عقليًا في الاستدلال، وإقناع المخاطببالأدلة المنطقية المقنعة.

الكلمات المفتاحية:

السؤال – التراث الإسلامي – البلاغة العربية

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ للسؤال مكانةٌ عظيمةٌ في التراث الإسلامي، والبلاغة العربية، وفي كثيرٍ من الحقول المعرفية، والفلسفات الأخرى؛ فالسؤال بوابة المعرفة، وطريق العلم، والمنهج السليم للتعاطي مع الأمور بشكل عام.

وفكرة البحث قراءةٌ متأنيةٌ للسؤال في الثقافة الإسلامية والبلاغة العربية، ثمَّ النظر في تناول البلاغيين للسؤال تنظيرًا وتطبيقًا، وقراءة موجزة للسؤال في القرآن الكريم؛ للوقوف على بلاغته المعجزة، وخصائصه البيانية، والمنهج القرآني في استعمال السؤال.

واجتهدتُ في هذا البحث أن أفيد من كتب التفسير، وعلوم القرآن، والبلاغة، والنقد الأدبي، وكذلك الانفتاح على الثقافات الأخرى، والإفادة من البلاغة الجديدة في المزاوجة بين بلاغتي الإمتاع والإقناع؛ لتكون المعالجة أكثر دقةً، والمقاربة البحثية أعمق.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستدلالي، القائم على طرح الأدلة وبيانِ الحجج التي تسهم في الإقناع والإمتاع والتوجيه والتأثير.

وتشمل الدراسة على مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها تعريفٌ موجزٌ عن فكرة الدراسة ومباحثها.

المبحث الأول: ثقافة السؤال وبلاغته.

المبحث الثاني: السؤال في البلاغة العربية.

المبحث الثالث: أسئلة القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج الدراسة.

فهرس المصادر والمراجع.

وفي ختام هذه المقدمة أشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث، أو أعارني كتابًا، أو دلني على معلومة؛ فالعلم رحمٌ بين أهله.

المبحث الأول: ثقافة السؤال وبلاغته

للسؤال أهمية كبرى في مجال المعرفة، ومجالات الحياة المتعددة،ولأهمية السؤال والجواب قيل: " العلم نصفان: نصفه سؤال، ونصفه جواب ". وهذا يؤكد أهمية السؤال والجواب في المعرفة عمومًا؛ فاختيار السؤال، وطريقة عرضه هو المنهج السليم لتلقي العلوم والمعارف.

ويعد السؤال علامة العقل الذي يفكر ويتأمل ويتطلع؛ فالعقل النشط الحيوي هو الذي يسأل الأسئلة المعرفية التي تنقله من جهل المعلومة إلى العلم والمعرفة، كما أنَّ العقل الحي اليقظ هو الذي يجيد طرح الأسئلة واختيارها،ومراعاة الحال والسياق والمقام؛ فالسؤال بوابة المعرفة الكبرى، وعلامة العقل الحي.

والحياة كلها سؤال وجواب؛ فالطفل منذ بداية نطقه يسأل بلغته المتعثرة عن الذين حوله: من هذا؟ ولماذا هذا؟ وكيف هذا؟ حتى ينطلق في هذا العالم متسلحًا بالسؤال؛ فالطفل في هذه المرحلة علامة استفهام حية بالنسبة لكل شيء، فهو يحاول الاستزادة العقلية والمعرفية، إنه يريد أن يعرف الأشياء التي تثير انتباهه، وأن يفهم الخبرات التي يمر بها. ويقدر بعض الباحثين أن حوالي ١٠-١٥ % من حديث الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة.(١)

والمسافر وطالب العالم كذلك سلاحهما السؤال ليسلكوا الطريق الصحيح، والمنهج السوي، وغيرهم من طلاب العلم، والباحثين عن المعرفة، والطالبين للدلالة.

فالسؤال هو الوسيلة الأكثر استخدامًا في أية مواجهة اقتناعية تجري بين طرفين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر، واستجواب قناعاته، وهو دائمًا تجلٍ لمشكل مطروح تجب معالجته، ومن ثمَّ فهو يقتضي تفاعلًا بين الذوات المعنية به، أي: انخراطها التخاطبي في التفاوض حوله، يكون السؤال بذلك إطلاقًا للمفاوضة. وهو بهذه الصفة يصبح محركًا للسجال والاستدلال، أي: منتجًا للعديد من الأقوال التي تقدم نفسها حسمًا للسؤال، أو على الأقل الجواب المناسب عنه، لذلك يقول ميشال ماير: إذا لم يكن هناك سؤال لن يكون هناك سجال؛ لأنَّه لن يكون هناك إلا جواب واحد (٢).

(١) ينظر:علم نفس النمو ، حامد عبد السلام زهران ،ط ٤ ، عالم الكتب ، القاهرة : ١٩٧٧م. ص ١٧٣.
(٢) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة لعبد اللطيف عادل، ص ٢٠٧.

والتوليد الفكري محايث دائمًا لمسار المساءلة؛ فبالسؤال تستدعي الأجوبة، وتبني البدائل التي تطور المعرفة. الأمر الذي يعني حسب مانويل ماريا كاريلهو أنَّ العقل حركة للسؤال لا تنضب(١).

ولأهمية السؤال في التراث العربي والإسلامي تستهل غالب المناظرات بالسؤال؛ فهو المفتتح لكل تلك الحوارات العلمية الجادة الهادفة؛ فالمناظرة بين الصحابي الجليل عبد الله بن عباسﷺ والخوارج تبدأ بهذا السؤال: ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟(٢) ، والمناظرة بين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد تستهل بسؤال واصل لعمرو : لم قلت إنَّ من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحقّ اسم النفاق ؟(٣) ، ومناظرة أبي سعيد ومتى بن يونس تستفتح بقول السيرافي: حدثني عن المنطق ما تعني به ؟(٤) ؛ فالمناظرة مقابلة حجاجية جادة تتطلب من المتناظرين دقةً في اختيار الألفاظ ، وانتقاء الأساليب، ومراعاة المقام، وفهم التكوين الفلسفي والمعرفي والنفسي للمناظر، لذلك كان استهلال المناظرات السابقة بالسؤال دليلًا واضحًا على عمق السؤال، ودوره الريادي في تحقق المقاصد الإقناعية ، مع ما يصاحبه من جمال أسلوبي إمتاعي.

والسؤال أساس التفاعل الإنساني؛ فحيثما يوجد سؤال كامن فثمة نقاش وحوار، والنقاش معبر عن العلاقات التخاطبية بين الذوات التي تنطلق من السؤال لتبحث في الجواب، أو الأجوبة الممكنة التي ستولّد بدورها أسئلة جديدة تحتاج إلى إجابة، فالسؤال هو المنطلق وبه تستدعى الأجوبة، وتبنى البدائل التي تطور المعرفة، مما يكسبه خصائص معرفية واستدلالية تجعله في قلب أية عملية حجاجية. ويضطلع السؤال البلاغي في النصوص الحجاجية بوظيفة إقناعية، بل إنَّ الحجاج في نظرية ميار هو دراسة العلاقة بين ظاهر القول وهو

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٧.
(٢) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار الفكر العربي،القاهرة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،(٣ / ١٢٢).
(٣) ينظر:أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م، ص ١٦٥.
(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، ط ١، المكتبة العنصرية،بيروت: ١٤٢٤هـ، ص ٩٠.

الجواب، وضمنيه وهو السؤال؛ فما الحجة عنده إلا جواب، أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيًا من ذلك الجواب. وتختلف القيمة الحجاجية للسؤال بحسب طبيعته ومقصديته، وكيفية توظيفه(١).

حظي السؤال منذ الفلسفة اليونانية باهتمام كبير ، بل إننا لا نخطيء إذ نؤكد اقتران نشأة السؤال بميلاد الفلسفة ؛ لأنَّ وظيفة الفلسفة الأولى ليست سوى المساءلة التأسيسية ، وقديمًا أكّد سقراط أنَّ عملية التفلسف لا تعدو أن تكون طرحًا لأسئلة لا تبحث عن أجوبة، بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهم لدى المخاطب في حين نشأ الفكر الأفلاطوني من حاجة ملحة لتقديم الأجوبة إذ تظل الغاية عند أفلاطون البحث عن الحقيقة ، غير أنَّه لما كان الجواب عنده متأتيًا من عالم المثل والأفكار فإنَّ الإشكال بجميع أنواعه يقصي، ولايبقي للسؤال إلا دور بلاغي صرف، وهو ما يختلف عن وضعية السؤال عند أرسطو الذي جعله تابعًا للجدل، ووجهه من وجوهه المتعددة. وقد أعاد المحدثون النظر في قضية المساءلة لأسباب كثيرة، وحاولوا تقديم إضافات تنطلق من قراءة جديدة لتاريخ الفلسفة، من أبرز هؤلاء ميشال مايير الذي قدّم في كتابه نظرية المساءلة سدًا لفراغ شعر به، وهو يعيد النظر في في فلسفة اليونان. والعناية بالسؤال لما تضمنه من صلة واضحة بالحجاج، فهي محاولة لتوظيفه في دراسة طاقة السؤال الإقناعية، ودوره في العملية الحجاجية إضافةً إلى مزاياه الجمالية(٢).

وللسؤال خصائص استدلالية ومعرفية تجعله من الأسس الرئيسة في العملية الحجاجية؛ لإقناع المخاطب؛ فالسؤال ليس مجرد بحث عن إجابة، فالسائل يسأل لإيصال معلومة، أو للتنبيه على أمر، أو لشد انتباه المتلقي حول نقطة معينة، أو مجارة له لحجاجه وإقناعه.

ويؤكد أبو السعود على أنَّ السؤالُ مما يهيج الإنسانَ على الاهتمام في البحث للتقصّي عما توجه إليه(٣) ، وفي هذا تأكيد على حجاجية السؤال ، وأثره البالغ على المتلقي ؛ لما يتركه في نفسه من عناية واهتمام ، وزيادة حرص واستقصاء.

---

(١) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي لعبد العالي قادا، ص ٢٧٠.
(٢) ينظر:الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ط٢، عالم الكتب الحديث، إربد: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ١٤٠.
(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود،(٤ / ٢٨٤).

إنَّ حقيقة السؤال تكشف عن حقيقة التطلع المعرفي المركوز في فطرة الإنسان؛ فالأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والمصير وطبيعة الكون تولد مع الإنسان، والجواب عنها هو ما يؤطر رؤيته وفلسفته في الحياة، وهذا ما يسمّى بالرؤية الكونية القرآنية التي تضبط عقل المسلم وترشده في جميع مناحي الحياة.

والسنة النبوية اعتنت بالسؤال، وأولته العناية الكبيرة؛ لأثره في إقناع المخاطبين، وشد انتباههم، ومن ذلك سؤاله ﷺللصحابة : أتدرون ما المفلس ؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقالﷺ: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١).فالنبي ﷺ استعمل السؤال لشد انتباه المخاطبين، وتعليمهم أمور دينهم، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة، وتوجيههم التوجيه الصحيح بأسلوب أدعى لمزيد عناية واهتمام ، وأدوم أثرًا.

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، رقم الحديث:٢٥٨١، (٤/ ١٩٩٧).

المبحث الثاني: السؤال في البلاغة العربية:

عنيت البلاغة العربية ببلاغة السؤال، وأن يكون السؤال موافقًا للسياق، ومناسبًا للحال، ومطابقًا للجواب، ومراعيًا حال المسؤول وتكوينه؛ فالسؤال عند البلاغيين يختلف عن السؤال المعرفي الطبعي الذي يسأله السائل بحثًا عن شيءٍ مفقود؛ فقد يكون السؤال البلاغي للتقرير أو للتعجب أو للإنكار، أو غيرها من الأغراض البلاغية.

وتبرز أهمية السؤال في البلاغة العربية في العناية بمجموعة من المباحث المتعلقة بالسؤال كالاستفهام، وتجاهل العارف، وغيرهما من المباحث البلاغية التي تبين بلاغة السؤال وفصاحته، ودوره الريادي في تأدية المعنى، وإيصال الغرض، وإقناع المخاطب.

كما أنَّ البلاغيين ينظرون إلى السؤال برؤية مغايرة عن السؤال المجرد الذي يبحث عن إجابة مباشرة؛ فالسؤال البلاغي لتحقيق أغراض بلاغية، ومقاصد معنية بقالب تعجبي أو إنكاري أو تأديبي أو تهكمي، أو غيرها من أغراض السؤال البلاغية التي تظهر من خلال مبحثي: الاستفهام وتجاهل العارف.

فسؤال البلاغيين سؤال مجازي لا يتطلب إجابة مباشرة، وإنما يقوم مقام الأمر، أو النهي، أو التمني، أو التعجب؛ فيخرج إلى غرض آخر يقتضيه المقام.

وجملة القول أنَّ الكلام عمومًا عند البلاغيين خبر وإنشاء، والخبر ما اشتمل على نسبة إسنادية حاصلة قبل التكلم، وهو ما احتمل الصدق والكذب لذاته؛ فقولك: قام زيد يحتمل الصدق والكذب، وفيه إسناد القيام لزيد. والإنشاء هو الكلام الذي لا يشتمل على نسبة إسنادية، وإنَّما يطلب به إيجادها، كقولك: قم يا زيد؛ فإنَّ القيام غير موجود، وطلب من زيد إيجاده. وينقسم الإنشاء إلى: طلبي وغير طلبي؛ فالطلبي ما اشتمل على التمني، والترجي، والاستفهام، والأمر والنهي؛ فالاستفهام عند البلاغيين إنشاء طلبي. وغير الطلبي كأفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم.

فالاستفهام يصبح وجهًا بلاغيًا عندما يتجاوز وظيفته الأساس المتمثلة في طلب الفهم، وفي هذه الحال يكون قد عدل عن سياقه التواصلي العادي إلى سياق بلاغي تداولي ينبغي تدبر معانيه؛ فالاستفهام البلاغي جزء من البنية التواصلية للخطاب الذي ينسجه المتكلم محاججًا لدعواه؛ فهو لا ينفصل عن هذه الدعوى وعن حججها مثلما لا ينفصل عن الصورة

الذاتية الحجاجية التي يظهر بها المتكلم في خطابه، وعن الأهواء التي يثيرها في المخاطب، كما لا ينفصل عن ترتيب الخطاب وأجزائه(١).

وعناية البلاغيين حول المعنى الإضافي للسؤال، أمَّا المعنى الوظيفي فهو عناية النحويين تقديمًا وتأخيرًا، صحةً وفسادًا، وغيرها من المعاني الوظيفية.

الاستفهام:

الاستفهام هو طلب الفهم،والفهم: هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن، قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} (٢)، والاستفهام أن يطلب من غيره أن يفهم، وقيل طلب حصول صورة الشيء في الذهن؛ فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين،أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور (٣).

وهو " عند أهل العربية من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء "(٤)، ويسمّى أيضًا الاستخبار والاستعلام، يقول ابن يعيش: "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد؛ فالاستفهام مصدر استفهمت، أي: طلبت الفهم، وهذه السين تفيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدرا: استعلمت واستخبرت "(٥)، وهناك من البلاغيين والنحاة من فرّق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولًا، ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا(٦).

ويشترط في الاستفهام وجود مستفهم ومستفهَم منه؛ فإنَّه لا يوجد أصلًا إلا بحضور الطرفين معًا، وبعبارة أدق باستحضار الأول للثاني لحظة إنجازه للعمل(٧) ،كما أنَّ المتكلم المستفهِم

---

(١) ينظر:خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، محمد مشبال، ط ١، كنوز المعرفة،عمان: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٢٢ – ١٢٣.

(٢) سورة الأنبياء،آية: ٧٩.

(٣) التعريفات،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط ١، دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م،ص ١٨.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي،تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان،بيروت: ١٩٩٦م،(٢ / ١٥٥).

(٥) شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدّم له: إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م،(٥ / ٩٩).

(٦)البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م،(٢ / ٣٢٦).

(٧) ينظر: السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، ط ١، دار محمد علي للنشر بالاشتراك مع المعهد العالي للغات،تونس: ٢٠٠٧م، ص ٦٩.

لا يعمل في النسبة فيحولها إلى نسبة مطلوبة ما لم تكن غايته الحصول على ما يطلب من طرف مقابل يفترض أن يكون عالمًا بما يجهله الأول(١)

وقد يخرج الاستفهام عن حقيقته ، وهو الأمر الذي دفع بعض العرب القدامى إلى التمييز بين الاستفهام والسؤال ، يقول العسكري: " الفرق بين السؤال والاستفهام أنَّ الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم ، أو يشك فيه ، وذلك أنَّ المستفهم طالب لأن يفهم ، ويجوز أن يكون السائل عمَّا يعلم وعمَّا لا يعلم ، والفرق بينهما واضح"(٢) ، فيكون السؤال على هذا الأساس أعم من الاستفهام ، ليصبح الاستفهام غرضًا ووظيفة من أغراض السؤال ووظائفه المتعددة(٣) ، غير أن السؤال قد استعمل عند العرب رغم كل التمييزات والتدقيقات والتدقيقات مرادفًا لمصطلح الاستفهام(٤).

فالمستفهم عن الشيء قد يكون عارفًا به رغم استفهامه عنه؛ لأغراض أخرى، منها أن يري المسؤول أنَّه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به، ومنها أن يري الحاضر غيرهما أنَّه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك الغرض، ومنها أن يعد ذلك لما بعده مما يتوقعه...ولغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها وبسببها(٥).

والاستفهام ذو قيمة حجاجية جلية، إذ يفترض السؤال شيئًا تعلق به ذلك السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أنَّ اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى حمل من وجّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته – إذا أجاب – على ماجاء الاستفهام يقتضيه(٦).

---

(١) ينظر: السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، ص ٦٨.
(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ط ١، دار العلم والثقافة للنشر،القاهرة، ص ٣٧.
(٣) ينظر: بلاغة الحجاج السياسي لعبد العالي قادا، ص ٢٦٧.
(٤) ينظر: السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل لبسمة بلحاج، ص ١١.
(٥) ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(٢ / ٤٦٥ – ٤٦٦).
(٦) ينظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع،تونس: ٢٠١١م، ص ٣٨.

وجاء الاستفهام في القرآن الكريم على معناه الأصلي الذي هو طلب الفهم، والأكثر منه هو خروجه عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى كالإنكار، والتقرير، والتوبيخ، والتعجب، والسخرية، والاستبعاد، وغيرها من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام في القرآن الكريم حسب السياق الذي وردت فيه.

والاستفهام على عكس التقرير أ والنفي أو النهي، فهو يجعل المخاطب في حالة اضطرار إلى الجواب خصوصًا في حالات الاستفهام الداخل على النفي، فهو يجعل المخاطب يجيب في الاتجاه الذي يرسمه السؤال، ولهذا أجاب المخاطبون في سورة الأعراف بقوله تعالى:{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} بَلَى(١) بقولهم {بَلَى}. وكذا الاستفهام في قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ}(٢) ؛ فقد جعل عمر بن الخطاب ﷺ في حالة اضطرار إلى أن يجيب: انتهينا ؛ فالمخاطب بمثل هذا الأسلوب لا يكون مجرد شاهد ، بل هو معني بما يقال(٣).

ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام في القرآن الكريم غرض التشويق كقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (٤) ، وغرض الإنكار كقوله تعالى:{ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (٥) ، وغرض التقرير كقوله تعالى : {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (٦)، وغرض التمني كقوله تعالى : {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (٧) ، وغرض الاستبطاء كقوله تعالى: تعالى: { مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواحَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}(٨) ، وغرض التهويل والتعظيم كقوله تعالى: {الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ

(١) سورة الأعراف،آية: ١٧٢.
(٢) سورة المائدة،آية: ٩١.
(٣) ينظر: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات لعبد الله صولة، ص ٩٨.
(٤) سورة الصف،آية: ١٠.
(٥) سورة البقرة،آية: ٤٤.
(٦) سورة الزمر،آية:٣٦.
(٧) سورة الأعراف،آية: ٥٣.
(٨) سورة البقرة،آية: ٢١٤.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} (١) ، وغرض التعجب كقوله تعالى: { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} (٢)، وغرض الاستبعاد كقوله تعالى: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣) ، وغرض التقريع كقوله تعالى: { قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (٤) ، وغيرها من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام في القرآن الكريم ؛ لتحقيق مقاصده وأهدافه.

تجاهل العارف:

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقةً تجاهلًا منه به ليخرج كلامه مخرجًا آخر كالمدح أو الذم ، أو ليدل على شدة التدله في الحب ، أو لقصد التعجب ، أو التقرير ، أو التوبيخ(٥) ، ، وهو الذي يسميه السكاكي : سوق المعلوم مساق غيره(٦) ، وقال : " ولا أحب تسميته بالتجاهل " (٧) ؛ فالسكاكي ذكر أنَّه لا يحب تسميته بالتجاهل دون ذكر السبب ، وعلّق التفتازاني على ذلك بقوله " لوروده في كلام الله تعالى "(٨) ، وذكر عبد المتعال الصعيدي: الصعيدي: " إنّما عدل عن تسميته : تجاهل العارف؛ لوروده في كلام الله تعالى، كقوله في سورة طه:{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} (٩)"(١٠).

---

(١) سورة الحاقة،آية: ١ – ٣.
(٢) سورة مريم،آية: ٢٩.
(٣) سورة يونس،آية: ٤٨.
(٤) سورة الشعراء،آية: ١٨.
(٥) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجازالقرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت، ص ١٣٥.
(٦) وقد أطنب الحديث في تنزيه النظم القرآني عن المصطلحات التي لا يليق إطلاقها مع كلام الله ﷻ د.يوسف العليوي في كتابه : الأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية ، وقد ذكر مجموعة من المصطلحات البلاغية يري البلاغيون عدم مناسبتها مع قدسية القرآن الكريم كتجاهل العارف، والسجع ، وحسن التخلص، والمجاز، والتورية، والمبالغة، وغيرها. ينظر: الأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية ليوسف بن عبد الله العليوي، ص ١٦ – ١٩.
(٧) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي،تحقيق: نعيم زرزور، ط ٢، دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٠٧هـ، ص ٤٢٧.
(٨) مختصر المعاني ضمن شروح التلخيص، مسعود بن التفتازاني، دار السرور، بيروت، (٤٠٣/٤).
(٩)سورة طه،آية: ١٧.
(١٠) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب،القاهرة: ١٤٢٠هـ،(٤ / ٥٩).

وجاء في معجم المصطلحات البلاغية أنَّ تجاهل العارف يعني أنَّ الشاعر أو الناثر يسأل عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه ليعلم أنَّ شدة المشبه بالمشبه به قد أحدثت عنده ذلك، وهو كثير في أشعار العرب وخطبهم(١).

ويقسم ابن أبي الإصبع تجاهل العارف إلى قسمين: سالب وموجب؛ فالجمل التي تخلو من حروف النفي موجبة كقوله تعالى:{أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ}(٢) ، ، ومن أمثلة تجاهل العارف السالبة قوله تعالى : { مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ } (٣)(٤).

فالمتكلم إذا أراد أن يقرب المخاطب إليه أكثر ليوجد في قلبه اطمئنانًا، ويزيده أنسًا وألفة إليه فإنَّه يحتاج إلى مبرر لكي يبدأ الكلام معه، وأفضل طريقة لذلك الغرض قد تكون سؤالًا لا يخفى جوابه لا عن المتكلم، ولا عن المخاطب، والمخاطب يعلم أنَّ قصد المتكلم من سؤاله إيجاد جو من الصداقة والمحبة، ولذلك يجيب بالإيجاب، وأحيانًا يطيل الجواب ليتلذذ أكثر، نحو قوله تعالى:{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } (٥).

ومن الطبيعي أن يكون الأنس والألفة اللذين أوجدهما الله ﷻ لدى موسى عليه السلام مقدمة للإشارة إلى حدوث أمر عظيم كتحول العصا إلى أفعى الذي جدث بعد ذلك، وخلاصة الأمر أنَّ إيجاد الأنس مقدمة لبيان أمر عظيم ومهم.

ومن الخروج عن مقتضى الظاهر تجاهُل العارف إذْ الأمور التي تجري على طبيعتها بالتِّلْقائيّة أن يتكلّم العارف بالأمر على وفق معرفته له، ولكن قد تدعوه بلاغيّة إلى التظاهر بالشّكّ أو الجهل.

ومن الدواعي البلاغية لهذا: المدح –الذَّمّ–التعجّب–التوبيخ.

ومن أمثلته قول الشاعر:

أَلَمْعُ بَرْقٍ جَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب، ص ٢٥٧.
(٢) سورة القمر،آية: ٢٤.
(٣) سورة يوسف،آية: ٣١.
(٤) ينظر: بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، ص ١٥١.
(٥) سورة طه،آية: ١٧.

المنظر الضاحي هو المنظر البارز الواضح؛ فالشاعر يريد أن يصف ابتسامة مالكةِ هواه بأنها ابتسامة مضيئة، فأراد تأكيد هذه الفكرة بطرح تشكيك حول ثلاثَةِ أُمُورٍ باعِثاتِ ضوء، وهي: لَمْعُ البرق –ضوء مصباح –بَرِيقُثَغْرِها، وهو عارفٌ غير جاهل، فبريق ثغرها هو الذي أثار مشاعره، فأراد أن يُثْنِيَ عليه بطرح اختلاطه في تصوّره بالأشياء والنظائر، مع تأكيد أن ابتسامتها ذات بريق(١).

المبحث الثالث:أسئلة القرآن الكريم:

السؤال في القرآن الكريم يعتبر محفزًا للعقل، وتتأسس طبيعته على الصيرورة والنقد، وإعادة البناء؛ فالمعرفة المطلقة تتجلى في الواقع النسبي عبر التراكم المعرفي، وعبر عمليات البحث العلمي. أمَّا المعرفة في القرآن فممكنة ويقينية، وهذا ثابت في كثير من الآيات التي تدعونا للتأمل والتفكر والتدبر والتساؤل.

إنَّ طبيعة السؤال في القرآن الكريم تظل محكومة بطبيعة المفاهيم المؤطرة للرؤية المعرفية القرآنية، وهي : التوحيد ، والخلود ، والاستيعاب ، والاستخلاف ، والتكامل ، والهيمنة ، والتصديق؛ فالرؤية الكونية القرآنية تعني تلك الرؤية التي تحدد علاقة الإنسان بالله والكون والحياة ؛ فهي رؤية للعالم قائمة على مجموعة من المبادئ والمفاهيم والقيم ، وهذه الرؤية الكونية لا تتحدد من خلال تلك الأسئلة الجوهرية التي تطرح حول معنى الحياة ، وحول المصير والغاية ؛ فهي أسئلة معرفية وجودية لا يمكن أن يجيب عنها إلا الشارع الحكيم ؛ لتعلقها بالغيبيات.

القرآن الكريم يضع الإنسان في امتحان كبير أمام نفسه، ويوقفه موقف الصدق؛ ليدرك مكانه في هذه الحياة؛ فلا ينبغي على الإنسان أن تمر عليه ساعات الحياة دون تأمل، ولا يستقيم التأمل دون سؤال، ولا يستقيم السؤال إلا إذا كان من عليم، ولا أحد أعلم بالإنسان من خالقه، لذا كان السؤال منه ﷻ من أجل ما يُنظر فيه ؛ لأنَّ ثمرته تدله على فعل الخير ، وسلوط طريق الهدى(٢).

(١) ينظر: البلاغة العربية للميداني، (١/ ٥١٧).
(٢) ينظر: السؤال والجواب في النظم القرآني، حسين الشربيني، ص ٩.

وفي القرآن الكريم أسئلة كثيرة تجاوزت ١٢٠٠ موضعًا، وقد اختلفت حسب السياق الذي ورد فيه: صيغةً، وأسلوبًا، وتركيبًا، ومقصدًا، وتنوع السائلين والمخاطبين فيها من مؤمنين، وأهل كتاب، ومنافقين، ومشركين، وغيرهم. وقد تنوعت مجالات الأسئلة بين عقدية،وتشريعية،وإخبارية،وتعليمية، وغيرها من المجالات.

والقرآن الكريم من خلال مطالبته المتكررة بالإجابة عن أسئلته المتنوعة يرسخ بأنَّ السؤال منهج رئيس للمعرفة، والوصول للحق، والله ﷻ قد هيأ للإنسان من الملكات المعرفية ما يركن من خلالها أن يصل للصواب من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة(١).

والقرآن الكريم حثَّ على السؤال المفيد المثمر، ورغَّب فيه، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (٢) ، وقال تعالى : {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} (٣) ، فهاتان الآيتان يؤكدان منهج القرآن الكريم في السؤال، والتحفيز على الأسئلة المثمرة ؛ لأنَّها طريق العلم والمعرفة ، والمسلك الذي يوصل العبد إلى تحقيق رضا الخالق عنه.

وقد استخدم القرآن الكريم السؤال كمنهج عقلي في الاستدلال، وإقناع المخاطب، قال تعالى:{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِوَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ}(٤) ، وقال تعالى : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ } (٥) ، وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِوَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (٦) ، وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِوَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}(٧) ؛ فهذه الآيات تظهر أنَّ السؤال منهج عقلي في الاستدلال؛ لإقناع المخاطبين بالأدلة المنطقية المقنعة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.
(٢) سورة النحل،آية: ٤٣. وقد تكررت في سورة الأنبياء،آية:٧؛ لأهمية سؤال أهل العلم والخبرة والتجربة في كل ما أشكل على المسلم في أمور دينه ودنياه وآخرته.
(٣) سورة الفرقان،آية: ٥٩.
(٤) سورة العنكبوت،آية: ٦١.
(٥) سورة العنكبوت،آية: ٦٣.
(٦) سورة لقمان،آية: ٢٥.
(٧) سورة الزخرف،آية: ٩.

ولأهمية السؤال جاء التوجيه الرباني بإجابة السائلين، وعدم كتم العلم، وخطر كتمانه، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ} (١) ؛ فالله ﷻ يلعنهم ، ويلعنونه اللاعنون ؛ لبيان خطورة كتم العلم ، وعدم إجابة السائل حول ما أنزل الله ، وفي هذا ملمح واضح في مكانة السؤال في القرآن الكريم تشريعًا وتطبيقًا. ويتأكد هذا النهي بقول النبي ﷺ : " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ، ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ "(٢).

ومن عناية القرآن الكريم بالسؤال استفتح الله ﷻ عددًا من السور القرآنية بالسؤال، كسورة الأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٣) ، وسورة النبأ: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} (٤) ، وسورة الغاشية: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (٥) ، وغيرها من السور؛ ليتضح لنا بلاغة السؤال، ودوره الريادي الريادي في تحقيق مقاصد القرآن، لذلك جاءت السور مستفتحة به.

ومنهج القرآن الكريم في السؤال أن يكون السؤال مفيدًا مثمرًا ، يعود بالخير والعلم والهدى على صاحبه ، أمَّا الأسئلة غير المفيدة ، التي لا تفيد صاحبها شيئًا ، بل قد تضره فإن التوجيه الرباني جاء بالنهي عنها ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (٦) ؛ فالنهي عن هذه الأسئلة لتوجيه البشرية لما ينفعهم، وتركيز أسئلتهم على المفيد المثمر المثمر الذي يعود على صاحبه بالخير.

قال الخطابي: وجاءت المسائل في كتاب الله ﷻعلى ضربين :

أحدهما محمود كقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ}(٧)، ونحوه من الأشياء المحتاج إليها في الدين، ولهذا قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (٨)

(١) سورة البقرة،آية: ١٥٩.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ماجاء في كتمان العلم، رقم الحديث:٢٦٤٩،(٥ / ٢٩).
(٣) سورة الأنفال،آية: ١.
(٤) سورة النبأ،آية: ١.
(٥) سورة الغاشية،آية: ١.
(٦) سورة المائدة،آية: ١٠١.
(٧) سورة البقرة،آية: ٢١٥.
(٨) سورة النحل،آية: ٤٣.

والآخر مذموم كقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}(١) ، ونحوه مما لا ضرورة بهم إلى علمه ، ولهذا قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ }(٢)"(٣).

وقال ابن الأثير: "السُّؤالُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْحَدِيثِ نوعَانِ: أحدُهُما مَا كَانَ عَلَى وجْهِ التَّبْيِين والتَّعلُّم ممَّا تَمَسُّ الحاجةُ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُبَاحٌ، أَوْ مندُوبٌ، أَوْ مأمورٌ بِهِ، وَالْآخَرُ مَا كانَ عَلَى طَرِيق التَّكلُّف والتعنُّت، فَهُوَ مكرُوه، ومَنْهيٌّ عَنْهُ. فكُلّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الوَجْه وَوَقَعَ السكوتُ عَنْ جَوَابه فَإِنَّمَا هُو رَدْع وزَجْر للسَّائل، وَإِنْ وقَعَ الجَوابُ عَنْهُ فَهُوَ عُقُوبَةٌ وتغليظٌ"(٤).

وقد استخدم القرآن الكريم السؤال في التشويق للمعرفة، وإثارة انتباه السامعين، وشد انتباههم كقوله تعالى:{الْحَاقَّةُ مَاالْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}(٥)، وقوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}(٦)، وقوله تعالى: {الْقَارِعَةُ مَاالْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}(٧)؛ فمثل هذه الآيات تشوق السامع لمعرفة الحاقة،والقارعة، ويوم الدين؛ لأنَّ السؤال جعلها محط العناية والاهتمام.

قال الراغب الأصفهاني: "وكلّ موضع ذكر في القرآن وَما أَدْراكَ، فقد عقّب ببيانه، نحو:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌحَامِيَةٌ} (٨)، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}(٩)،{وَمَاأَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}(١٠)،{ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِّينِ}(١١)، وقولهتعالى:{قُلْ لَوْ

(١) سورة الإسراء،آية: ٨٥.
(٢) سورة المائدة،آية: ١٠١.
(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، ط ٢، دار دار إحياء التراث العربي،بيروت: ١٤٠١هـ / ١٩٨١م،(٨ / ٢٢).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي المكتبة العلمية،بيروت: ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، (٢/ ٣٢٨).
(٥) سورة الحاقة،آية: ١ -٣.
(٦) سورة الانفطار،آية: ١٧ – ١٨.
(٧) سورة القارعة،آية: ١ – ٣.
(٨) سورة القارعة،آية: ١٠ – ١١.
(٩) سورة القدر،آية: ٢ – ٣.
(١٠) سورة الحاقة،آية: ٣.
(١١) سورة الانفطار،آية: ١٨.

شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ}(١)، من قولهم: دريت، ولو كان من درأت لقيل: ولا أدرأتكموه " (٢).

ومن خصائص أسئلة القرآن أنَّها جمعت بين جمال الأسلوب وبلاغته، وكون السؤال حجة إقناعية؛ فالسؤال سلاح حجاجي لردع الخصوم وإقناعهم، إبراهيم عليه السلام لما اجتمع قومه عليه بأنَّه من كسر الأصنام قال لهم: { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ} (٣) ؛ فجاء السؤال حجة مبهرة لهم ؛ ليعودوا إلى التوحيد والهدى، ويدركوا ما هم عليه من الضلالة.

وبعض أسئلة القرآن الكريم مرتبطةً بسبب النزول ؛ فيكون السؤال من الناس، وينزل الجواب القرآني إجابةً عن هذا التساؤل، ومن ذلك قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } (٤) ، وقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} (٥) ، وقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ} (٦) ، وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (٧) ، وقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنْ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمْ اللَّهُ } (٨) ، وقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ} (٩)، وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة يونس،آية: ١٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان صفوان عدنان الداودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت: ١٤١٢هـ، ص ٣١٣
(٣) سورة إبراهيم،آية: ٦٣.
(٤) سورة البقرة،آية: ١٨٩.
(٥) سورة البقرة،آية: ٢١٥.
(٦) سورة البقرة،آية: ٢١٧.
(٧) سورة البقرة،آية: ٢١٩.
(٨) سورة المائدة،آية: ٤.
(٩) سورة الأعراف،آية: ١٨٧.

وَالرَّسُولِ}(١)، وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ رَبِّكَ مُنتَهَاهَ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} (٢) (٢) ، وقوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} (٣)، وغيرها من الآيات التي نزلت إجابةً لأسئلة الناس وإشكالاتهم؛ فهذا منهج قرآني في إيراد الأسئلة، والإجابة عنها حسب السياق، ومقتضى الحال.

وأسئلة القرآن الكريم تميزت بالإيجاز، والوضوح، والدقة، والشمولية، والعناية بالجوانب العقدية والإخبارية؛ لتكون منهجًا يسير عليه المسلم في حياته سائلًا ومجيبًا.

(١) سورة الأنفال،آية: ١.
(٢) سورة النازعات،آية: ٤٢ – ٤٦.
(٣) سورة المعارج،آية: ١.

الخاتمة:

وفي ختام البحث توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١) اختيار السؤال المناسب، وإجادة التعبير عنه هو السبيل إلى التعلم، وكلما كان السؤال متينًا في صياغته، وعميقًا في محتواه، كانت إجابته بليغة، وبانية للمعرفة، ومبينة لحاجات السائل، والجواب الدقيق البليغ هو الباب الذي تحصّل منه العلوم والمعارف.

٢) يعدُّ السؤال علامة العقل الذي يفكر ويتأمل ويتطلع؛ فالعقل النشط الحيوي هو الذي يطرح الأسئلة المعرفية التي تنقله من حال الحيرة والجهل إلى حال العلم والمعرفة، كما أنَّ العقل الحي اليقظ هو الذي يجيد طرح الأسئلة واختيارها على نحو تُراعى فيه مقتضيات الحال، وشروط المقام؛ فالسؤال بوابة المعرفة الكبرى، وعلامة العقل الحي.

٣) للسؤال خصائص استدلالية ومعرفية تجعله من الأسس الرئيسة في العملية الحجاجية الهادفة إلى إقناع المخاطب؛ فالسؤال ليس مجرد بحث عن إجابة؛ لأنَّ السائل يسأل لإيصال معلومة، أو للتنبيه على أمر، أو لشد انتباه المتلقي حول نقطة معينة، أو مجاراة له لحجاجه وإقناعه.

٤) الاستفهام ذو قيمة حجاجية جلية، إذ يفترض السؤال شيئًا تعلق به، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أنَّ اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى حمل من وجّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته على الأمر المستفهم عنه.

٥) يعدُّ السؤال في القرآن الكريم محفزًا للعقل، وتتأسس طبيعته على الصيرورة والنقد، وإعادة البناء؛ فالمعرفة المطلقة تتجلى في الواقع النسبي عبر التراكم المعرفي، وعبر عمليات البحث العلمي. أمَّا المعرفة في القرآن فممكنة ويقينية، وهذا ثابت في كثير من الآيات التي تدعونا إلى التأمل والتفكر والتدبر والتساؤل.

٦) استعمل القرآن الكريم السؤال منهجًا عقليًا في الاستدلال، وإقناع المخاطب. فالسؤال منهج عقلي في الاستدلال؛ لإقناع المخاطبين بالأدلة المنطقية المقنعة.

فهرس المصادر والمراجع

١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.

٢) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، ط ١، المكتبة العنصرية،بيروت: ١٤٢٤هـ.

٣) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، ط ١، المكتبة العصرية،بيروت: ١٤١٢٤هـ.

٤) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م.

٥) البرهان في علوم القرآن، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه،بيروت: ١٣٧٦ هـ /١٩٥٧م.

٦) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب،القاهرة: ١٤٢٠هـ.

٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.

٨) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط ١، دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

٩) الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ط٢، عالم الكتب الحديث،إربد: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

١٠)الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١)خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، محمد مشبال، ط ١، كنوز المعرفة،عمان: ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

١٢)السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، ط ١، دار محمد علي للنشر بالاشتراك مع المعهد العالي للغات،تونس: ٢٠٠٧م.

١٣)شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدّم له: إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

١٤)العقد الفريد،ابن عبد ربهالأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٤هـ.

١٥)علم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران، ط ٤، عالم الكتب، القاهرة: ١٩٧٧م.

١٦)الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ط ١، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٧)في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ط١، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس: ٢٠١١م.
١٨)الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار الفكر العربي،القاهرة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
١٩)كشف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي،تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان،بيروت: ١٩٩٦م.
٢٠)الكواكب الدراري في شرح صحيح، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، ط ٢، دار إحياء التراث العربي،بيروت: ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢١)مختصر المعاني ضمن شروح التلخيص، مسعود بن التفتازاني، دار السرور، بيروت
٢٢)مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي،تحقيق: نعيم زرزور، ط ٢، دار الكتب العلمية،بيروت: ١٤٠٧هـ.
٢٣)المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية،دمشق،بيروت: ١٤١٢هـ.
٢٤)النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.